

إلك أين نهرب بأولادنا .. من الكذب اليومك

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD190213.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2013/02/19

السنة السادسة - العدد: 1999



هذا المقال نشر من اثني عشر سنة في صحيفة الوفد بتاريخ: 26-3-2001، وفي القناة الفضائية المصرية هذا الأسبوع سألتني المذيعه الفاضلة عن ما يصل أولادنا من الجارى هذه الأيام، ثم عثرت على هذا المقال، وسألت نفسي، هل ثمَّ فرق، وهل ما نحن فيه هو بعض آثار ما كنا نزرعه في أولادنا بوعى أو بدونه.

اليوم هو الثلاثاء الحر، فنستسمحه أن يرحب ببعض التاريخ المرصود

... يقول محمد المخزنجي في "لحظات غرق جزيرة الموت": "... كنت أعرف بيقين الحس أن الاتحاد السوفيتي مرشح للانهيبار، ولأسباب أبسط وأوضح من تلك التي ساقها، ولا يزال، المحللون السياسيون في مراكز الدراسات الاستراتيجية. لقد انهار الاتحاد السوفيتي لسبب واحد يجمع كل الأسباب، وهو الكذب، وسأظل أذكر أن أحد المنشقين عندما سألوه عن سبب هروبه من الاتحاد السوفيتي قال " لقد أردت أن أهرب بأولادى من مصير الكذب" لم أجد تعبيراً أدق من ذلك، ولا أبلغ ولا أكثر منه إيلاماً. لهذا لم أنسه أبداً...."(انتهى المقطف).

يبدو أن الأديب يمكن أن يرصد الحقائق الجذرية التي تكمن وراء كل شيء، الأديب ليس مفسراً سياسياً، ولا هو مصلح اجتماعي، ولا هو مؤرخ راصد، للأديب حدس دالّ. كررتُ من قبل في أكثر من موقع ما قاله لى يوسف إدريس من أن الأديب (مثله مثل المجنون) هو بمثابة الناضورجي الذي يقف أعلى سارى السفينة ليرصد قدوم قرصان أو سفينة للأعداء، فيصرخ قبل اقترابها ليستعد القبطان، والبحارة، والركاب للدفاع، أو الهجوم المضاد، أو حتى الهرب.

من أراد أن يعرف إلى أين نسير عليه أن يتملّى طويلاً في حدس الأديباء، وفي رطان المجانين، وفي ما هو بين السطور، مما لم يُكتب، ومما كُتب وحذف بواسطة الكاتب نفسه، قبل أن تحذفه الرقابة فلا يرى النور أصلاً. عليه أن ينظر في نوع الإعلانات، وفي محتوى مكالمات التليفون المحمول، خصوصاً مكالمات الفتيات الصغيرات الواقفات على ناصيات الشوارع، من المحجبات وغير المحجبات، كل هذا أكثر دلالة على ما وصلنا إليه. هو أكثر دلالة من الأخبار الأولى

لقد انهار الاتحاد السوفيتي لسبب واحد يجمع كل الأسباب، وهو الكذب

وسأظل أذكر أن أحد المنشقين عندما سألوه عن سبب هروبه من الاتحاد السوفيتي قال " لقد أردت أن أهرب بأولادى من مصير الكذب" لم أجد تعبيراً أدق من ذلك، ولا أبلغ ولا أكثر منه إيلاماً. لهذا لم أنسه أبداً...

من أراد أن يعرف إلك أين نسير عليه أن يتملّى طويلاً فك حدس الأديباء، فك رطان المجانين، فك ما هو بين السطور، ممّا لم يُكتب، وممّا كتب وحذف بواسطة الكاتب نفسه، قبل أن تحذفه

الرقابة فلا يركب النور
أصلاً. عليه أن ينظر فك
نوع الإعلانات، وفك
محتوى مكالمات
التليفون المحمول

هو أكثر دلالة من
الأخبار الأولك فك
نشرات الأخبار فك
الإذاعة الرسمية، وهو
أهم بكثير من اجترار
الماضك فك الشهادات
اللك يتباهك بها فك
ندوات الفضائيات وهط
من الزعماء، والقادة،
المتقاعدين،
والمطرودين، والمهزومين

ليست الأزمة
الاقتصادية هك ما
يهدك مجتمعنا بالانهيار،
ولا حتك غباء إسرائيل
الغاشم أو غطرسها
العمياء. إنه الغش، وهو
أخطر أنواع الكذب

نحن نمارس الغش على
كل المستويات، من أول
تشويه وعك الأطفال
بتقديس من لا يُقدس من
زعماء وساسة فك
مناهج التاريخ المزيفة

لقد دخل الغش فك
عمق تركيبنا الواعي
وغير الواعي. نحن نمارسه
دون أن تهتز فينا شعوره.
إننا نغش وكأننا نتجشأ.
بل إن منا من يفخر به،

في نشرات الأخبار في الإذاعة الرسمية، وهو أهم بكثير من اجترار الماضى في الشهادات التي
يتباهى بها في ندوات الفضائيات رهط من الزعماء، والقادة، المتقاعدين، والمطرودين،
والمهزومين، وهو أهم كذلك من أحاديث ومذكرات وذكريات الكتاب القدامى الموثقين، مهما كانوا
جادين أو موسوعيين. إن حدس الناس العاديين والأدباء والمجانين قد يدلنا أكثر إلى أين نسير. ولكن
لماذا نريد أن نعرف أين نسير؟ وماذا بعد أن نعرف إن لم نشارك؟

ليست الأزمة الاقتصادية هي ما يهدد مجتمعنا بالانهيار، ولا حتى غباء إسرائيل الغاشم أو
غطرسها العمياء. إنه الغش، وهو أخطر أنواع الكذب، وقد شاع منه عندنا نوع سريع الانتشار،
مبّرر بأسباب تدعّمه، وقدوة تشرّعه، حتى أصبح أقرب إلى الفضيلة. إنه "الغش القومي".

تتاح لى الفرصة -من خلال مهنتي أساسا - وليس فقط - أن أقابل بعض الذين يحاولون
الهجرة إلى الخارج، أو إلى التطرف الدينى، أو إلى عزلة المتقنين على الورق، فأسألهم نفس السؤال
"لماذا تتركونا ؟" يأتي الرد من أغلبهم قريبا من رد المنشق السوفيتي : ". أنا أبحث لأولادى عن
مجتمع له نظام ، فيه قانون عام، يطبق على الجميع". حين هاجر ابنى إلى نيوزيلندا سألته نفس
السؤال، فأجاب إجابة مماثلة تتعلق بمستقبل أولاده لا أذكر نصّها، لكنّه عاد إلى مصر مع أولاده،
يغامر بمستقبلهم، وهو يبحث معنا عن ملاذ من الغش، بما نعمل، وليس فى مخبأ بعيد.

نحن نمارس الغش على كل المستويات، من أول تشويه وعى الأطفال بتقديس من لا يُقدس
من زعماء وساسة فى مناهج التاريخ المزيفة، حتى الإفراط فى منح درجات الشهادات بالكوم،
فخورين بسهولة الامتحانات" (رشوة للأهل، وتوقيا لهجمات الصحافة من كل لون) مما أدى إلى
تنظيم الغش الجماعى (بالسكوت عنه، أو بتعليمات إدارية، صريحة أو ضمنية).

القيادة السياسية التنفيذية تمدنا بالبيانات الغامضة، والأرقام الملتبسة. تخابثا، أو عجزا.

مجلس الشعب جدا لا يكف عن المراوغة من أحكام المحاكم، ثم تحذو حذوه هيئة قضايا
الحكومة بحركات تؤكد أنها ليست حكومة جادة وظيفتها أن تحمى روح القانون لا أن تلوى ألفاظه.
إنها تمارس ألعاب التحايل وهى تخرّج ظاهر ألفاظ الإجراءات القانونية بما يبطل مفعول
القانون، وكأنها تترافع فى قضية نفقة زوج إحدى المطلقات ليتهرب من واجباته.

وفى الانتخابات نمارس الغش الرسمى بالبلطجة، ثم بتغيير الصناديق، ثم بتصدير اللوريات فى
الشوارع منعا لوصول الناخبين. ثم يحذو المرشح الناجح "مستقلا" حذو الحكومة، فيغير صفته (من
مستقل إلى وطنى) وهو يخرج لسانه للناخب الذى ما انتخبه إلا لأنه "ضد الوطنى".

لقد دخل الغش فى عمق تركيبنا الواعي وغير الواعي. نحن نمارسه دون أن تهتز فينا شعوره.
إننا نغش وكأننا نتجشأ. بل إن منا من يفخر به، ومنا من يخجل من عجزه عنه.

هل يمكن لمن نشأ فى هذا الجو، مهما بلغ موقعه العلمى الأكاديمى، أن يمارس أى نشاط

ومناً من يخجل من عجزه عنه.

هل يمكن لمن نشأ في هذا الجو، مهما بلغ موقعه العلمى الأكاديمى، أن يمارس أحد نشاط لاحق بأمانة مناسبة حتى لو كان هذا النشاط هو مايسمى نشاط "البحث العلمى"؟

هل يمكن أن يمارس الأمانة من لم يتعلم معناها صغيراً؟ من نشأ في مجتمع يتهم من يمتنع عن الغش والتغشيش بالأمانة والغباء. وقد يظفده ويبعده، وقد يفصله من عمله

إخفاء الحقيقة، أو جزء من الحقيقة، هو غش أخبث

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى، إذا استخفنا، وخفنا على أولادنا، وديننا، أن نهجر في أرضه الواسعة، لكن أمريكا المفترية استولت على أرض الله الواسعة، بوضع اليد المغولمة، فراحت تنظم الغش المغولمة الجديد لصالحها

إنه غش آخر أكثر حبكة ولمعانا، وفي نفس

لاحق بأمانة مناسبة حتى لو كان هذا النشاط هو مايسمى نشاط "البحث العلمى"؟

حين تسمع - عزيزى القارئ- ألفاظا مثل : "يا شيخ فوّتت!!"، "خليها على الله"(!!!)، "ما هو كله زى كله"، "قصر ولم المتكسر"، "إضربهم في اثنين وان ماعجبهمش إضرب في خمسة"، "هية جت على دى"، "إشعنى إحنا" هل يمكن أن تتصور - عزيزى القارئ - أن هذه ألفاظ يتبادلها أساتذة "في محراب" البحث العلمى؟ (لاحظ أننى لم أقل أن هذا يحدث !!!، هل أنا ناقص؟).

هل يمكن أن يمارس الأمانة من لم يتعلم معناها صغيراً؟ من نشأ في مجتمع يتهم من يمتنع عن الغش والتغشيش بالأمانة والغباء. وقد يظفده ويبعده، وقد يفصله من عمله. هل تذكرون الخطاب الذى وصل إلى أحمد رجب من الأستاذ الدكتور سعيد اسماعيل على أستاذ التربية ونشره في الأخبار في 27 يناير 2001 تشكو فيه إحدى طالباته التى أصبحت مدرسة من أنها فوجئت حين همت أن تعترض على "النقويت" تسهيلا للغش الجماعى، فوجئت بتهديدها فى مستقبلها ..(الخ؟). وفى برنامج تليفزيونى عن انهيار القيم عند الشباب (دعوة للفكر) قالت لى إحدى الشابات المشاركات: "إن القيم لم تنحط عند الشباب، إنكم أنتم الذين تلقنونا قيما فاسدة، إن المدرس الذى عين مراقبا ليمنع الغش، هو الذى يملأ أذى الأصغر وزملاءه الإجابة علانية، ماذا أقول لأخى بعد ذلك (اتهى كلام الشابة المشاركة فى البرنامج).

إن تسمية الأمور بغير أسمائها، وادعاء ما لم يكن بأثر رجعي هو من أخبث أنواع الغش. يبدو أن بداية تأميم الغش كانت حين سميت "الحركة" التى قام بها الجيش سنة 1952 "ثورة"، صحيح أن عبد الناصر ثورها بعد قيامها بسنوات، لكنها لم تكن ثورة حين بدأت.

كنت أزور المرحوم الفنان التشكلى المرحوم كمال خليفة فى حجرته على سطوح بيت فى شارع منصور بباب اللوق، فى إحدى ليالى صيف سنة 1968، وكان عنده الشيخ إمام (قبل أن يصبح "إماما") وكان يغنى "الحمد لله خبنا تحت باططنا، يا محلى جرية ظباطنا من خط النار"، امتلأت غيظا من الأغنية ولم أشارك لا فى الضحك ولا فى التقرىظ. أنا أرفض إهانة الضحية بهذه الطريقة، مازنب ضباطنا فيما عرضناهم له. ولكن حين وصل الشيخ إمام إلى مقطع "ماتقولشى سينا ولا سيناشى، كله اهو ماشى، ما دام جنبه البكباشى بيقول"ثوار"، هدأ غيظى إلا قليلا. يومها حكى لى المرحوم كمال خليفة تفسيره لما سمي ثورة يوليو، قال :

هم لم يكونوا يقصدونها ثورة ولا يحزنون، هم كانوا بمثابة جماعة تجلس تحت شجرة تفاح، فتساقطت عليهم نقط لها رائحة حمضية، فنظروا إلى أعلى فوجدوا أن النقط تنزل من تفاحة واحدة عطنة، (انتخابات نادى الضباط آنذاك) ، فقرروا أن يهزوا الشجرة لإسقاط هذه التفاحة حتى لا تتسوخ ملابسهم، فهزّوها، فإذا بكل التفاح يسقط، لأنه كان عطنا كله. هم لم يقصدوا أن يسقطوه، هو الذى سقط وحده، من فرط عطنه. وحين فوجئوا بكل هذا الذى تساقط بهزة واحدة، زعموا أنهم إنما

الوقت هو أخفك
ظهوراً. هو غش مُبرمَج،
غشُّ عصر المعلومات، غشُّ
الإعلام المتحيز، غشُّ
الديمقراطية الممولة
بمئات الملايين سرا
وعلانية، غشُّ تزوير
احتياجات الناس بتتمة
غرائز استهلاكية لم
يخلقها الله فينا أصلاً. إنه
تحديث الغش وعولمته
بالتكنولوجيا الأقدر.

هل نهرب بأولادنا من
غش (قومك) فج
بدائك، إلك غش
أمريكك (عولمك)
منظم ؟
هل نهرب من هامشنا
الخائب "كنظام"
الديمقراطية إلك بجاجة
غطرسة وقحة، وتمثليات
انتخابية مدفوعة الأجرسا
وعلانية، تسمك أيضا
ديمقراطية (أمريكية
صهيونية بريطانك)

إذا كان هذا هو
إسلامنا الذك يدخل
الأجانب إليه ليجدوا فيه
ما يفتقرون إليه من
مرجعية" فأين نحن منه؟
ماذا فعلنا بهذه
"النقطة المرجعية" (بل
الإنسان على نفسه
بصيرة) التذ تحمينا من
تحايلنا حتك على
أنفسنا، وتحمك أولادنا
من مصير الغش الذك
يفرضه علينا كذب

هزوا الشجرة لإسقاط كل ما عليها من ثمر فاسد، وليس فقط النفاحة التي لوثت ملابسهم، ثم
إنهم صدقوا أنفسهم". انتهى كلام المرحوم كمال خليفة. أضيف أنا الآن : لعلها كانت بداية مسلسل
الكذب حتى صار الغش سمة قومية.

إخفاء الحقيقة، أو جزء من الحقيقة، هو غش أخبث. شرحتُ ذلك في مقال سابق هنا في
الوفد حين تحدثت عن معنى إخفاء تمرير إسرائيل في مضائق تيران، ثم كيف تغطي الكذب بكذب
أخطر، حين سُميت هزيمة 56 نصرا، ثم لحقه كذب أكثر رشاقة فسميت هزيمة 1967 "تكسة"،
وسميت إبادة الفلسطينيين "أزمة الشرق الأوسط". ثم تعودنا على الكذب القومي.

ألا نعذر من يريد أن يهرب بأولاده من هذا الغش. فكّرتُ أن أصحابهم. لكن إلى أين ؟
لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى، إذا استضعفنا، وخفنا على أولادنا، وديننا، أن نهاجر في أرضه
الواسعة، لكن أمريكا المفترية استولت على أرض الله الواسعة بوضع اليد المعولمة، فراحت تنظم
الغش العولمي الجديد لصالحها، إنه غش آخر أكثر حبكة ولمعانا، وفي نفس الوقت هو أخفى ظهوراً.
هو غش مُبرمَج، غشُّ عصر المعلومات، غشُّ الإعلام المتحيز، غشُّ الديمقراطية الممولة بمئات
الملايين سرا وعلانية، غشُّ تزوير احتياجات الناس بتتمة غرائز استهلاكية لم يخلقها الله فينا أصلاً.
إنه تحديث الغش وعولمته بالتكنولوجيا الأقدر.

هل نهرب بأولادنا من غش (قومي) فج بدائي، إلى غش أمريكي (عولمي) منظم ؟
هل نهرب من هامشنا الخائب "كنظام" الديمقراطية إلى بجاجة غطرسة وقحة، وتمثليات
انتخابية مدفوعة الأجرسا وعلانية، تسمى أيضا ديمقراطية (أمريكية صهيونية بريطاني)

نقطة مرجعية: زارني صديق ثلاثي الجنسية (أسواني - مصري - سوداني) وبعد أن أبلغني
أنه تحسن جدا، ذكر لي، دليلا على تحسنه، أنه فتح مكتبة إسلامية هناك (...)، وأن له زبائن تجعل
مكتبته مشروعا ناجحا، وأن عدد من يُسلمون من الإنجليز يتزايد، وأنه قد نجح في أن يُدخل في
الإسلام هذا العام وحده أكثر من عشرة بريطانيين، وأنهم يفعلون ذلك (كان يرد على سؤال سألتُه)
لأنهم يجدون في الإسلام "نقطة مرجعية Point of Reference" بمعنى أن الإسلام يهيء لهم
فرصة أن يكتسبوا مرجعا داخليا، وخارجيا، دون فتاوى وصيّة كهنوتية، أو قهر سياسي
كاذب. تعجبتُ من حديثه. لم أصدقه كلّهُ، ولم أكذبه أيضا. لكنني رحمت أفكاره: إذا كان هذا هو
إسلامنا الذي يدخل الأجانب إليه ليجدوا فيه ما يفتقرون إليه من "مرجعية" فأين نحن منه؟ ماذا فعلنا
بهذه "النقطة المرجعية" (بل الإنسان على نفسه بصيرة) التي تحمينا من تحايلنا حتى على أنفسنا،
وتحمي أولادنا من مصير الغش الذي يفرضه علينا كذب حكامنا، ونظم تربيتنا، ونتائج شهادتنا،
وأغلب أبحاثنا. لماذا يضطروننا للهجرة لنعيش مرتزقة، على أرض غير أرضنا، نخدم سادة أتقنوا

حكامنا، ونظّم تربيتنا،
وننتج شهادتنا، وأغلب
أبحاثنا

لماذا يضطروننا للهجرة
لنعيش مرتزقة، على
أرض غير أرضنا، نخدّم
سادة أتقنوا غشا آخر،
وهم يفتقدون مرجعية
حقيقية، يحسبوننا عندنا،
مع أننا تنازلنا عنها دون
مقابل؟

غشا آخر، وهم يفتقدون مرجعية حقيقية، يحسبوننا عندنا، مع أننا تنازلنا عنها دون مقابل؟

إن وضوح أزمتهم هناك تحملنا مسؤولية أكبر، لأنها تقفل علينا باب الهرب السهل.

يا سادتي الكرام، يا حكامنا الأفاضل، يا مسؤولي التربية والتعليم، يا كل من يهمله الأمر، لقد

انهار الاتحاد السوفيتي بسبب الكذب، وقد بلغ الغش عندنا مبلغا يهيبّ أمّا كثيرة على مدى أجيال

متعاقبة، فهل تخفّفون، ولو قليلا، من بياناتكم، وعودكم؟ وهل تسمعون ولو قليلا بعض ما يقال

لكم؟ (دعوا جانباً ما يقال عنكم). أطال الله عمر حكمكم، وبارك في أرقامكم.

* * * *

وبعد (2013/2/19)

هل هناك فرق، أم أن المصيبة أعظم؟

والذي زاد وفاض أنها تحدث باسم الدين بشكل أكثر التواء، وغباءً، ولزوجة!!

*** **

وحدة الدراسة والبحث في الإنسان والتطور

"قراءة النم البشري من منظور تطوري انطلاقاً مما أدركه يحيى الرخاوي"

الإصدار الفطلي لنشرة "الإنسان والتطور" (حسب المآور)

ربيع - صيف 2012

"الفصام"

... قراءة من منظور تطوري

مع ملحق رحدود بريد الجمعة

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.exe

بروفيسور يحيى الرخاوي

rakhawy@rakhawy.org

mokattampsy2002@hotmail.com

ARABSYNET PRIZE 2013

جائزة يحيى الرخاوي لشبكة العلوم النفسية العربية 2013

مخصصة هذا العام للطب النفسي

www.arabpsynet.com/Prize2013/APNprize2013.pdf